دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب العلمية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية ٢٣

الواسطة بين الحق والخلق

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى

(ت ٧٢٨هـ)

تحقيق اللجنة العلمية في

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية

يحقق لأول مرة على ثلاث نسخ خطية

الواسطة

بين الحق والخلق

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى
(ت ٧٢٨هـ)

تحقيق اللجنة العلمية في
دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب العلمية

يحقق لأول مرة على ثلاث نسخ خطية

مقدمة

إنّ الحمد للّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من توفيق الله تعالى للعبد المسلم؛ أن يرشده إلى العناية بأصل الدين، وما عليه مدار الإسلام ومثبّتات اليقين، حتى يكون قويًّا في إيمانه، ثابتًا في عقيدته، قادرًا على دحض الشبهات، وردّ الأمور المتشابهات إلى المحكمات، ومردّ ذلك كله إلى العناية بالعلم النافع الذي تناقلته ورثة الأنبياء والعلماء الأتقياء الأصفياء، من زمن صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، إذ كان ديدنهم العلم النافع، تعليمه وتصنيف المصنفات فيه والعناية بنشره وبثّه بين الناس.

وإن ممن انبرى لذلك: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، تقي الدين، أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه، فقد سخر قلمه وأرسل

حبره في نشر العلم النافع، فكانت له المصنفات العظام، حتى قال الحافظ ابن رجب: (وأما تصانيفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها)[1].

ومن تلك المصنفات النافعة: «**رسالة الواسطة**»، بيّن فيها الواسطة الصحيحة والواسطة الباطلة بين الله تعالىٰ وبين خلقه، وهي صغيرة الحجم عظيم النفع.

(واعلم أن موضوع الواسطة بين الحق والخلق بحث خطير، جهله أكثر المسلمين – ويا للأسف – فكان من نتيجة ذلك هذا الذي نعاني، بعدما حرمنا نصر الله سبحانه وتعالىٰ، وتأييده الذي وعدنا به إذا ما لجأنا إليه واتبعنا شرعه فقال:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقد انقسم الناس في فهم الواسطة بين الحق والخلق (أي بين الله تعالىٰ وبين عباده) إلى ثلاث طوائف:

١ – من أنكر كون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله سبحانه واسطة – وحده – لتعليم الشريعة، ودعوا – ويا هول ما دعوا – أن هذه الشريعة للعوام، وراحوا يسمونها علم الظاهر، واعتمدوا في عبادتهم على أوهام وخرافات أطلقوا عليها علم

(١) ذيل الطبقات (٤/ ٥٢٠).

الباطن، وسموه (كشفًا) وما هو في الحقيقة إلا وساوس إبليسية ووسائط شيطانية مخالفة لأبسط مبادئ الإسلام. وشعارهم في ذلك (حدثني قلبي عن ربي).

وهم في ذلك يسخرون من علماء الشريعة، ويعينون عليهم لأنهم يأخذون علمهم ميتًا عن ميت.

أما هم فإنهم يأخذون العلم مباشرة عن الحي القيوم، ففتنوا بذلك كثيرًا من العامة وأضلوهم، وارتكبوا من المخالفات الشرعية ما هو مسجل في كتبهم مما دعا العلماء ...

وهكذا زين لهم الشيطان أعمالهم بمحاربة العلم وإطفاء نوره، فساروا في ظلمات بعضها فوق بعض، وانصرفوا إلى أهوائهم وخيالاتهم يتعبدون الله بها، وهم كما وصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٥].

وقد انقسمت هذه الطائفة إلى عدة فرق وطرق يحارب بعضها بعضًا بسبب بعدها عن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وجميع هذه الفرق في النار كما ذكرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**والذي نفسُ محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعون فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون بالنار**» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**الجماعة**»[1].

٢- ومنهم من بالغ في هذه الواسطة، وفهمها فهمًا خاطئًا، وحَمَّلها ما لا تحمل، فاتخذ

(١) رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢) وانظر: الصحيحة (٣/ ٤٨٠).

من ذات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من الأنبياء والصالحين وسائط، معتقدًا أن الله سبحانه لا يقبل من عباده عملًا إلا إذا جاؤوا إليه بهؤلاء الوسطاء ليكونوا لهم وسيلة عنده، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، فقد وصفوه - والعياذ بالله - بما يأبى أن يوصف به حتى الملوك المستبدون الظالمون الذين وضعوا على أبوابهم الحجاب فلا يدخل عليهم إلا من له واسطة.

فأين هذا الاعتقاد من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الواسطة الوحيدة للوصول إليه تعالىٰ هي الإيمان إيمانًا صحيحًا، ثم عبادته بما شرع، وقد قدمت هذه الآية العبادة على الإيمان لتنبيه الناس إلى أهمية العمل الصالح، وأنه الشرط الضروري، للفوز برضا الله والحصول على جنته.

وقد ذكر سبحانه الوسيلة في القرآن ويريد بها الطاعات، وهي الواسطة الوحيدة التي تقربك إليه، وتفتح لك أبواب رحمته وتدخلك جنته: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥].

وقد استهزأ تعالىٰ بالمغفلين الجاهلين الذين يتخذون من عبادة الصالحين وسيلة، وهم أنفسهم بحاجة إلى هذه الوسيلة، وهي الطاعة التي تقربهم إلى الله، ولا سبيل لهم إليه بغيرها كما جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ومن المؤسف أن هؤلاء المغفلين راحوا يعتمدون على ذوات هؤلاء الوسائط،

مما أغراهم بإهمال الصالحات وارتكاب المحرمات، الأمر الذي سبب انحطاط المسلمين الذين نسوا أو تناسوا قوله تعالى يخاطب رسوله، وهو سيد ولد آدم: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقوله ﷺ لابنته وريحانة قلبه: «**يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**»(١).

وقوله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

ولم يكن في النصوص على عدم جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، غير توسل عمر بن الخطاب بدعاء العباس، وتركه التوسل بذات النبي ﷺ لكفى في الرد على هذا الفريق...، ولو جاز اتخاذ الواسطة إلى الله بذوات من ذكرنا، لجاءت أدعية القرآن والحديث – وما أكثرها – مقرونة بالتوسل بذاتهم.

٣- ومن المسلمين من فهم هذه الواسطة بين الحق والخلق أنها الرسالة، وهي تبليغ وتعليم وتربية، وأدرك علو شأنها ومبلغ حاجة البشرية إليها، فسارعوا إلى الرسول ﷺ يتخذونه الواسطة الكبرى والوسيلة العظمى لتلقي الشريعة والاستضاءة بنور الوحي، فيتدارسون سيرته وسنته كما يتدارسون القرآن، شعارهم في ذلك نداء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥].

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم برقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذه الفرقة هي الناجية التي ذكرت في الحديث السابق وبُشِّرت بالجنة، ومن المؤلم أن طريق هذه الطائفة مملوء بالأشواك والعقبات، لأن الإسلام الصحيح أصبح غريبًا، وقد بعد عنه المسلمون – أغلب المسلمين – واستعاضوا عنه بالبدع والأوهام.

وهذا البلاء قديم، ودور المصلحين فيه شاق وخطير، قال عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينًا لا يرون الحق غيره)[١].

ولا بِدْع في ذلك، فقد أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غربة الدين فقال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»[٢].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فطوبى للغرباء**» قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[٣].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما قيل له من الغرباء؟: «**ناس صالحون، في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[٤].

فلتعمل هذه الطائفة في دروب الإصلاح، ولتحمل مصباح التجديد حتى يستيقظ المسلمون ويرجعوا إلى الإسلام الصحيح، ولنقل للمعارضين المخربين ما قاله الله

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لعبد الله بن عبد الحكم المصري (ص: ٤٢).

(٢) رواه مسلم برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الآجري في الغرباء برقم (٤) من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: الصحيحة (٣/ ٢٦٧).

(٤) أخرجه أحمد برقم (٧٠٧٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سبحانه لأقرانهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢])[1].

ولما كانت هذه الرسالة قد تناولها أهل العصر بالشرح والتعليق والعناية؛ ارتأت اللجنة العلمية في دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب العلمية أن تكون من المشاركين في ذلك فعزمنا على خدمتها وشمّرنا عن سواعدنا لتحقيقها والعناية بها، وقد يسر الله لنا الوقوف على ثلاث نسخ خطية فله الحمد والمنّة، فقمنا بمقابلتها وقراءتها قراءة صحيحة قدر المستطاع، مع العناية بتخريج أحاديثها، كما قدمنا لها بمقدمة اشتملت على ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتوثيق نسبة الكتاب للمؤلف، وذكر طبعاته، ووصف النسخ الخطية، والمنهج المتبع في تحقيق الرسالة؛ ونماذج من النسخ الخطية.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن نكون قد وفّقنا لخدمة دينه الحنيف ولإبراز الحق، فإن أحسنا فذلك من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ، وإن قصّرنا وأخطأنا، فمن الشيطان ومن أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه متقبلًا، وأن يكتب فيه النفع للناس جميعًا، إنه خير مسؤول.

(١) من مقدمة الشيخ محمد جميل زينو لطبعته رسالة الواسطة بتصرف.

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه:

أحمد بن عبدالحليم[٢] بن عبدالسلام[٣] بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية.

نسبه:

الحراني[٤] الدّمشقيّ.

كنيته:

أبو العباس.

لقبه:

تقي الدين.

---

(١) مصادر الترجمة:

١- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر البزار.

٢- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي .

٣- البداية والنهاية، لابن كثير (١٧ / ٤٥١ وما بعدها).

٤- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (٤/ ٤٩١ - ٥٢٩).

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (١٥/ ٤٩).

٦- شذرات الذهب، لابن العماد (٨ / ١٤٢ - ١٥٠).

٧- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون.

(٢) أبو المحاسن شهاب الدين - الإمام العلامة - (ت: ٦٨٢ هـ).

(٣) أبو البركات مجد الدين - الإمام العلامة - (ت: ٦٥٢ هـ).

(٤) نسبة إلى بلدة حران، موطن أسرته الأولى، شمال سوريا، وهي مدينة في تركيا اليوم.

مولده، ونشأته:

ولد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الاثنين العاشر، وقيل: الثاني عشر من ربيع الأول بحران سنة (٦٦١هـ)، ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق هربًا من وجه الغزاة التتار، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، وجده الأدنى عبدالسلام بن عبدالله ابن تيمية مجد الدين أبوالبركات - صاحب التصانيف التي منها: «المنتقى من أحاديث الأحكام»، و«المحرر في الفقه»، وغيرها - وكذلك أبوه عبد الحليم بن عبدالسلام الحراني، وأخوه عبد الرحمن كانوا من أهل العلم.

طلبه للعلم:

يقول تلميذه ابن عبد الهادي: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ. وسمع «مسند الإمام أحمد بن حنبل» مرات، وسمع الكتب الستة الكبار، والأجزاء، ومن مسموعاته: «معجم الطبراني الكبير». وعني بالحديث، وقرأ، ونسخ وانتقى، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ أيامًا في العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمّل «كتاب سيبويه» حتى فهمه وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.. هذا كله وهوبعد ابن بضع عشرة سنة. فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه» .

شيوخه:

أخذ العلم عن كثير من الشيوخ تجاوزوا مائتي شيخ كما تقدم فيما ذكره تلميذه ابن عبدالهادي.

ومن أبرزهم:

١- الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي (ت: ٦٦٨هـ).

٢- الإمام تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي (ت: ٦٧٢هـ).

٣- الإمام جمال الدين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن الصيرفي (ت: ٦٧٨هـ).

٤- الإمام شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن علان القيسي (ت: ٦٨٠هـ).

٥- الإمام مجد الدين أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن عساكر الدمشقي (ت: ٩٩٦هـ).

وخلقٌ كثير.

وقد جمع د. عبد الرحمن الفريوائي بعض أسماء شيوخه، وترجم لهم، فذكر (٦٩) عالمًا، بينهم خمس من النساء[١].

تلاميذه:

أشهر تلاميذه:

١- الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (ت: ٧٤٤هـ).

٢- الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ).

٣- العلاّمة محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ).

٤- العلاّمة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح بن مفرج المقدسي؛ صاحب «الآداب الشرعية» (ت: ٧٦٣هـ).

٥- الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي صاحب «التفسير» (ت: ٧٧٤ هـ). وغيرهم.

---

(١) انظر: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (١/ ٧١-١٠٠)، وكتاب الأربعون حديثًا لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد جمع د. عبدالرحمن الفريوائي أكثر تلاميذ شيخ الإسلام وترجم لهم، وعدّ منهم (١٦١) تلميذًا[١].

ثناء العلماء عليه:

يقول الإمام الذهبي: «وبرع في الحديث وحفظه، فقلّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث..».

وقال عنه الحافظ البزار: «وأمده الله بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان».

وقال الحافظ ابن رجب: «حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه».

قال الإمام ابن دقيق العيد: «رأيت رجلًا سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها، ويترك ما شاء».

من خصاله:

جهاده ودفاعه عن الإسلام:

له مواقف مشهودة في مجالات عديدة أسهم فيها إسهامًا قويًّا في نصرة الإسلام وعزته.

فمن ذلك:

١ - كسره للأصنام والأماكن التي تعظّم من دون الله - تعالىٰ - :

قال ابن القيم: «وقد كان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسّر الله - سبحانه - كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق، والنُّصُب

(١) انظر: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (١/ ١٠١ - ١٥٩).

الذي كان بمسجد التاريخ من المصلى...، والنُّصُب الذي كان تحت الطاحون، الذي عند مقابر النصارى...، وكان صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له، ويتبركون به، وقطع الله النُّصُب الذي كان عند الرحبة...، وعند مسجد درب الحجر نُصُب قد بني عليه مسجد صغير يعبده المشركون يسر الله كسره»[١].

٢- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في محبسه:

يقول تلميذه ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواعٍ من اللعب، يلتهون بها عمَّا هم فيه، كالشطرنج والنرد، ونحوذلك من تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة...، وعلمهم من السنّة ما يحتاجون إليه...، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه، حتى كان السجن يمتلئ منهم».

٣- جهاده بالسيف وتحريضه المسلمين على القتال، بالقول والعمل:

قال أبوحفص البزار: «كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعًا أو رقةً أوجَبَانةً شجَّعه وثبَّته وبشَّره ووعده بالنصر والظفر...، وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان ويكبِّر تكبيرًا أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم... وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أمورًا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها».

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٢٩).

مؤلفاته:

قال الحافظ ابن رجب: «وأما تصانيفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهي أشهر من أن تذكر، ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها، ولا ذكرها».

وقال أبوحفص البزار: «وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أويحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبًا أحدٌ؛ لأنها كثيرة جدًا، وكبارًا وصغارًا، وهي منشورة في البلدان، فقلّ بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه».

وقد صنّف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهرسًا بأسماء كتب ابن تيمية، أوصل عددها إلى (٣٢١) ما بين كتاب كبير، أورسالة[1].

وقد ذكر بعض العلماء عددًا من مصنّفات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، منهم: ابن شاكر الكتبي، وابن عبد الهادي، والبزار، والصفدي.

فمن أهم كتبه المطبوعة:

١- «منهاج السنة النبوية».

٢- «شرح الأصفهانية».

٣- «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح».

٤- «درء تعارض العقل والنقل».

٥- «الاستقامة».

---

(١) وقد طبعها د. صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٧٦م.

٦- «بيان تلبيس الجهمية».

٧- «الرد على المنطقيين».

٨- «بغية المرتاد».

وغيرها كثير ليس هذا مكان حصرها.

وقد جمع الشيخ علي بن عبدالعزيز الشبل في كتابه «الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب» قوائم ببعض مخطوطات شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فهارس المكتبات والمجموعات الخطية العامة والخاصة، وأوصل عدد ما جمع إلى (٤١٢) مخطوطًا ما بين رسالة وكتاب كبير، فجزاه الله خيرًا.

ولا شكّ أنه لم يستوف كلّ الموجود، بل ربما كان ما فقد أكثر.

محنته

وقعت لشيخ الإسلام محنة سنة (٦٩٨هـ).

يقول الإمام ابن كثير: «وكان قد وقع في أواخر دولةٍ لاجين بعد خروج قبجق من البلد، محنةٌ للشّيخ تقيّ الدّين ابن تيمية؛ قام عليه جماعةٌ من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدّين الحنفيّ فلم يحضر، فنودي في البلد في العقيدة الّتي كان قد سأله عنها أهل حماة المسمّاة «بالحمويّة»، فانتصر له الأمير سيف الدّين جاغان، وأرسل يطلب الّذين قاموا عليه، فاختفى كثيرٌ منهم، وضرب جماعةً ممّن نادى على العقيدة، فسكت الباقون، فلمّا كان يوم الجمعة عمل الشّيخ تقيّ الدّين الميعاد بالجامع على عادته، وفسّر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، ثمّ اجتمع بالقاضي إمام الدّين القزوينيّ صبيحة يوم السّبت، واجتمع عنده جماعةٌ من الفضلاء، وبحثوا في «الحمويّة» وناقشوه في أماكن منها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلامٍ كثير».

وسجن مرات في سبيل الله، كان آخرها عندما ورد مرسوم السلطان بسجنه في القلعة بدمشق يوم الإثنين السادس من شهر شعبان من سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وفاته

بقي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسجونًا بسجن القلعة سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا، ولم يزل في هذه المدة مكبًا على العبادة والتلاوة والتصنيف والرد على المخالفين، إلى أن توفي ليلة الاثنين (٢٠) من شهر ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، فهبّ أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشييع جنازته، وقد أجمعت المصادر التي ذكرت وفاته أنه حضر جنازته جمهور كبير جدًّا يفوق الوصف.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل مثوبته، وأسكنه فسيح جناته.

توثيق نسبة الكتاب

درج أهل التحقيق في مقدّماتهم على توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلّفه؛ لا سيما إذا جاء ما يشكك في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، كما حصل في كتابنا هذا، إذ جاء في نسخة الغازي خسروبك نسبة الكتاب للعز بن عبدالسلام وهو خطأ ظاهر إذ هذا المخطوط ثابت النسبة قطعًا لشيخ الإسلام بن تيمية، وإليك أدلّة صحة نسبتها له:

١- نسبت بعض المصادر التي ترجمت للشيخ واهتمّت بتدوين مصنفاته هذا الكتاب له؛ فقد ذكره ابن عبدالهادي في العقود الدرية (ص: ١٠٣) أثناء سرده لجمعٍ من مؤلفات شيخ الإسلام فقال: (وله مسألة تسمى الواسطة)، كما جاء ذكره في كتاب أسماء مؤلفات ابن تيمية (ص: ٢٣) فقال مؤلفه بعد ما ساق جملة من كتبه: (والواسطة وهي عقيدة).

٢- أسلوب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتميز الذي يدركه كل من قرأ كتبه بتمعن، فالكتاب بيّنٌ بنفسه، وشاهدٌ على نفسه؛ أنّه صنيعة ابن تيمية، وكلّ من أَلِفَ طريقته وأسلوبه ميّز بين ما هو له وما هو لغيره بمجرد الاطلاع والنظر، فبسطه للمسائل، وإقامته للحجّة، وحشده للأدلّة؛ منهجٌ لكتبه معروف، ومسلكٌ لمصنفاته مألوف.

٣- موافقة كثير من مواطن الرسالة لما في كتب شيخ الإسلام الأخرى، بل مطابقته حرفيـًا في بعض الأحيان.

٤- كل من حقق الكتاب نسبه لشيخ الإسلام ولم نقف على من نسبه لغيره.

طبعات الكتاب

طبعت هذه الرسالة عدة طبعات انتقينا منها أربعًا:

الأولى: وهي أقدم ما وقفنا عليه مطبوعًا لهذا الكتاب: **طبعة الآداب والمؤيد المصرية**، طبعت عام (١٣١٨هـ). وطبع معها كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

ولم يذكر في مقدمتها شيءٌ من النسخ الخطية التي اعتمد عليها، لكن فيما يظهر أنها تشابه نسخة الأصل التي اعتمدناها، والتي رمزنا لها بالرمز (م)، فهي موافقة لها في بدايتها.

الثانية: طبعة المكتب الإسلامي في دمشق[1]، والتي طبعت عام (١٣٨١هـ) الطبعة الثانية، ولم يذكر في مقدمتها أيضًا شيء من النسخ الخطية التي اعتمد عليها ولا من اعتنى بها، وصدرت بقوله: «الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد فهذه رسالة...».

وهذه البداية لم توافق شيء من الخصية التي وقفنا عليها.

الثالثة: طبعة «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢١ - ١٣٨) ولا ندري أي نسخة أعتمد عليها.

الرابعة: طبعة **مؤسسة بينونة للنشر**، بتحقيق: د.عبد المجيد جمعة، والتي طبعت عام (١٤٣٥هـ).

---

(١) هذه طبعة أخرى غير التي حققها زهير الشاويش على نسختين خطيتين وخرج أحاديثها العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يتسنَّ لنا الوقوف عليها.

وذكر المحقق: أنه اعتمد على نسخة خطية وحيدة، وهي نسخة الغازي خسرو بك، وذكر أنّه اعتمد أيضًا على نسخة زهير الشاويش، فأكمل النقص الذي في نسخته منها، كما استفاد أيضًا من نسخة «مجموع الفتاوى».

وأشار أن زهيرًا اعتمد على نسختين خطيتين.

المنهج المعتمد في التحقيق

جرى العمل في تحقيق الكتاب وفق المنهج التالي:

١ - قارنا بين النسخ الثلاث، واعتمدنا النسخة (م) أصلًا؛ لأسباب بيناها في وصف النسخ.

٢ - أثبتنا ما جاء في الأصل، وحرصنا على إبقائه كما هو ما أمكن، إلا إن ظهر - بعد التأمل في النص - أن الصواب أو المناسب لسياق الكلام ما ورد في إحدى النسختين (ت) أو (غ) أو فيهما، فإننا نثبته في أصل المتن ونجعله بين معقوفين []، ونشير في الهامش إلى الفروق بعبارة: «في الأصل: كذا. والمثبت من...».

٣ - إذا كانت هناك زيادة في النسخ الأخرى أو أحدها لا توجد في الأصل؛ أثبتناها في أصل المتن بين معقوفين، ونشير إلى ذلك في الهامش بعبارة: «ما بين المعقوفين زيادة من...»، ونشير إلى النسخة التي وردت فيها هذه الزيادة.

٤ - لم نثبت الفروق اليسيرة بين النسخ التي لا يترتب عليها إخلال بالمعنى، مثل: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، و عَزَّوَجَلَّ، وجل ذكره، ونحو هذا مما اختلفت فيه النسخ.

وكذا ما يرد في النسخ الخطية - عادة - من عدم استعمال الرسم الإملائي؛ كإهمال الهمزة المتوسطة التي تكون في وسط الكلمة، أو إهمال الهمزة التي تكون في آخر الكلمة، أو إهمال ألف التفريق، ونحو ذلك.

وأما ما يتعلق بخدمة الكتاب وإخراجه، فجاء على النحو التالي:

١- قمنا بضبط الألفاظ حسب الحاجة، والتي رأينا أن ضبطها أمر ضروري،

لا سيما الأحاديث، وأسماء الأعلام، ونحو ذلك، وقد استعنا في ذلك بكتب اللغة والتراجم.

٢- خرجنا الأحاديث من مصادرها، بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث. وما كان من غير الصحيحين ذكرنا فيه حكم الشيخ الألباني.

وصف النسخ الخطية

بعد الرجوع إلى مصادر المخطوطات وأماكن وجودها، وفهارس المكتبات المختلفة، حصلنا بتوفيق الله على ثلاث نسخ خطية للكتاب؛ تمَّ الاعتماد عليها في تحقيق هذا الكتاب[1].

النسخة الأولى: حصلنا عليها من مركز جمعة الماجد للمخطوطات، وهي مفهرسة عندهم برقم (٣٤٢٨٣٩)، اعتمدناها أصلًا، ورمزنا لها بالرمز (م).

وهي نسخة كاملة، قليلة السقط والتصحيف، وتقع في (١٨) لوح، ضمن مجموع جاءت فيه من اللوح رقم (٨٦) إلى اللوح رقم (١٠٣)، واشتمل الوجه على (١١) سطرًا، ومتوسط ما حوى السطر الواحد منها (٩) كلمات، وهي نسخة متأخرة، ولم يتيسر لنا معرفة ناسخها، فقد جاء في آخرها ما نصه: (تمت، المجاهد فيها أحمد سنة ١٣٨١). ومع ما تميزت به هذه النسخة من أنها النسخة الكاملة الوحيدة التي وقفنا عليها ما جعلنا نعتمدها أصلًا، وخطها واضح وجميل، إلا أنها لا تخلو من بعض عيوب النسخ؛ كالطمس في بعض المواضع، كما لم يوجد عليها عنوان للرسالة.

النسخة الثانية: حصلنا عليها من مركز جمعة الماجد للمخطوطات أيضًا، وهي مفهرسة عندهم برقم (٧٧٣٦٥٦)، ورمزنا لها بالرمز (ت).

وهي نسخة غير كاملة، وفيها بعض العيوب من التقديم والتأخير في بعض

---

(١) ومما تجدر الإشارة له: أن الشيخ علي الشبل ذكر في كتابه «الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب» (ص: ٢٢٦) أن للكتاب نسخة خطية في مكتبة برلين، وعند الرجوع لتلك النسخة تبين أنها نسخة للعقيدة الواسطية وليست لكتابنا هذا، وقد عُنون لها خطأً في النسخة الخطية بـ (الواسطة لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وهو ما سبب الخطأ في نسبتها.

المواضع، وزيادة بعض العبارات في غير مكانها، مع ما فيها من سقط في غيرما موضع لاسيما في آخرها، كما لم يوجد عليها عنوان للرسالة.

وتقع في (٥) ألواح، ضمن مجموع جاءت فيه من لوح رقم (٢٣) إلى لوح رقم (٢٩)، اشتمل الوجه على (١٥) سطرًا، حوى السطر الواحد منها (١٠) كلمات، ولم نقف على اسم ناسخها ولا سنة نسخها، ولكن جاء في أولها ما نصه: (وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتاب السابق لوجه الله ... سنة ١١٥٤).

النسخة الثالثة: وهي نسخة غازي خسروبك، وحصلنا عليها من الشبكة العنكبوتية، وتوجد منها نسخة مصورة في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشوؤن الإسلامية بدولة الكويت، برقم (م ١٦٢)، ورمزنا لها بالرمز (غ).

وهي نسخة في أولها نقص، كما فيها سقط يسير في وسطها، وزيادات يسيرة على النسخ الأخرى.

وتقع هذه النسخة في (٥) ألواح، وهي ضمن رسالة أخرى لشيخ الإسلام، وهي: «الكلام في الغوث والأوتاد الأربعة...».

اشتمل الوجه على (٢٧) سطرًا، حوى السطر الواحد منها (١٤) كلمة، ولم نقف على اسم ناسخها ولا سنة نسخها، وقد عنون لها الناسخ بـ: «قاعدة الواسطة».

إلا أن الناسخ قد نسبها إلى الإمام عز الدين بن عبد السلام، فقال: «قاعدة الواسطة للشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمه الرحيم العلام»، وليس كذلك، والكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم بيانه.

وختامًا

انطلاقًا من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١).

فنتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من قدم لنا خدمة لإخراج هذا الكتاب بأدق صورة، وعلى رأسهم: الشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الباري بن حماد الأنصاري، فقد أفادنا كثيرًا فيما يتعلق بالنسخ الخطية وحل كثير من الاشكالات التي واجهتنا في عملنا وزودنا مشكورًا ببعض طبعات الكتاب لا سيما القديمة منها، وكذلك الأخ الفاضل: عادل العوضي من دولة الإمارات؛ فقد سعى سعيًا حثيثًا في توفير النسخ الخطية للكتاب، وكذا الدكتور أيمن الشريدة، الذي لم يدخر جهداً في إفادتنا بما نحتاجه من بداية عملنا في الكتاب.

وكذا الإخوة الذين عملوا على مقابلة النسخ الخطية والمطبوعة، فقد بذلوا جهدًا كبيرًا، فنسأل الله أن يُجزل للجميع الأجر والثواب ويجعل ما قدموه ذخرًا لهم يوم يلقونه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللجنة العلمية في

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب العلمية

يوم الجمعة السابع عشر من شهر ذي الحجه للعام ١٤٤١هـ

الموافق٧/ ٨/ ٢٠٢٠م.

(١) أخرجه أبوداود في سننه (٤٨١١)، والترمذي في جامعه (١٩٥٤)، وصححه الألباني.

نماذج من الصور المخطوطة المعتمدة في التحقيق

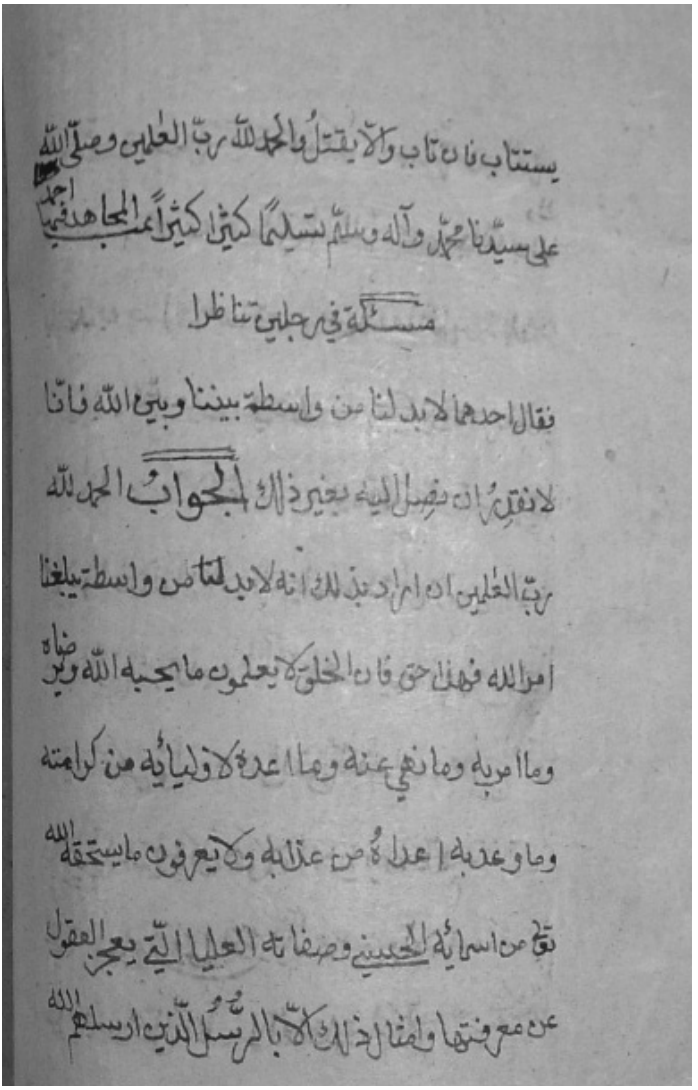

يستتاب فان تاب وإلا يقتل والحمد لله رب العلمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا كثيرا أجاب المجاهد فيما
مسألة في رجلين تناظرا
فقال احدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا
لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك الجواب الحمد لله
رب العلمين ان اراد بذلك انه لا بد لنا من واسطة يبلغنا
امر الله فهذا حق فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه
وما امر به وما نهى عنه وما اعده لاوليائه من كرامته
وما وعد به اعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله
تعالى من اسمائه الحسنى وصفاته العليا التي يعجز العقول
عن معرفتها وامثال ذلك الا بالرسل الذين ارسلهم الله

الصفحة الأولى من النسخة (م)

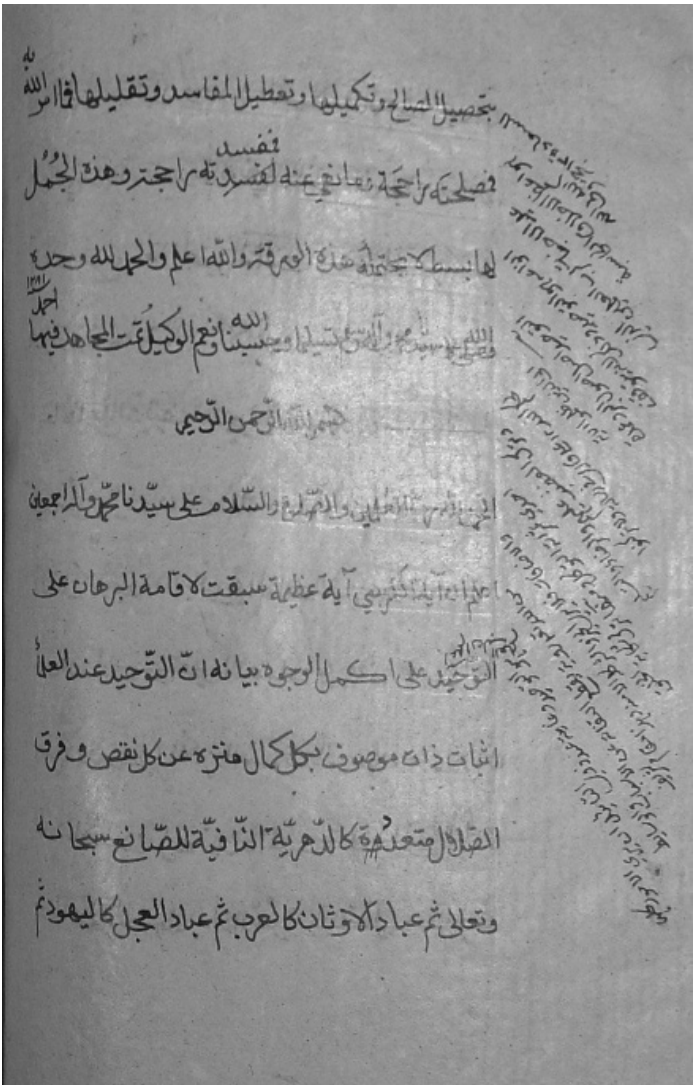

الصفحة الأخيرة من النسخة (م)

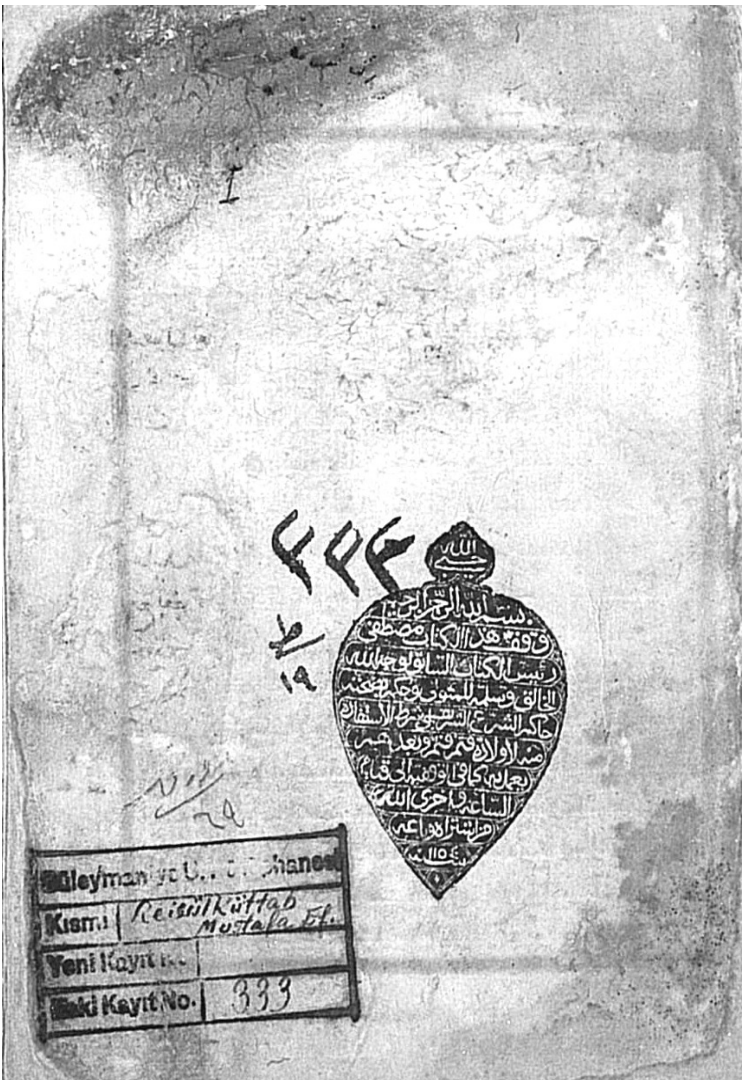

صفحة العنوان من المخطوط (ت)

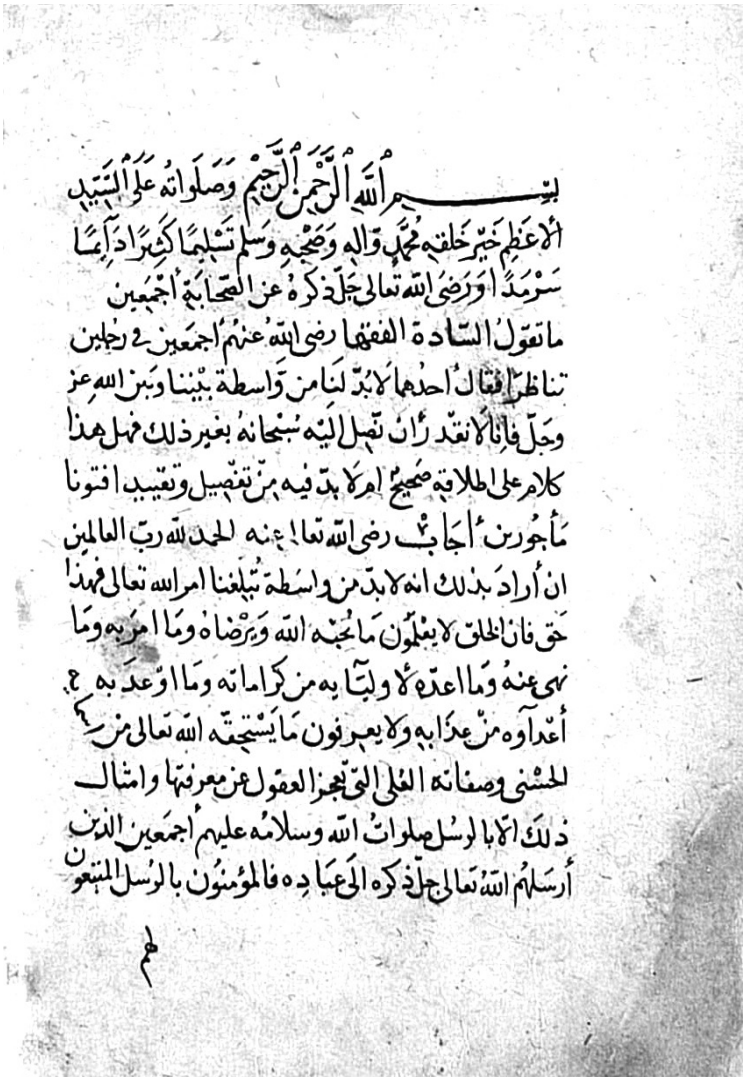

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على السيد
الأعظم خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما
سرمدا ورضي الله تعالى جل ذكره عن الصحابة اجمعين
ما تقول السادة الفقها رضي الله عنهم اجمعين في رجلين
تناظرا فقال احدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله عز
وجل فانا لا نقدر ان نصل اليه سبحانه بغير ذلك فهل هذا
كلام على اطلاقه صحيح ام لا بد فيه من تفصيل وتقييد افتونا
ماجورين فاجاب رضي الله تعالى عنه الحمد لله رب العالمين
ان اراد بذلك انه لابد من واسطة تبلغنا امر الله تعالى فهذا
حق فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما امر به وما
نهى عنه وما اعده لاوليائه من كرامته وما اوعد به
اعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من
الحسنى وصفاته العلى التي تعجز العقول عن معرفتها وامثال
ذلك الا بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الذين
ارسلهم الله تعالى جل ذكره الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون

لهم

الصفحة الأولى من المخطوط (ت)

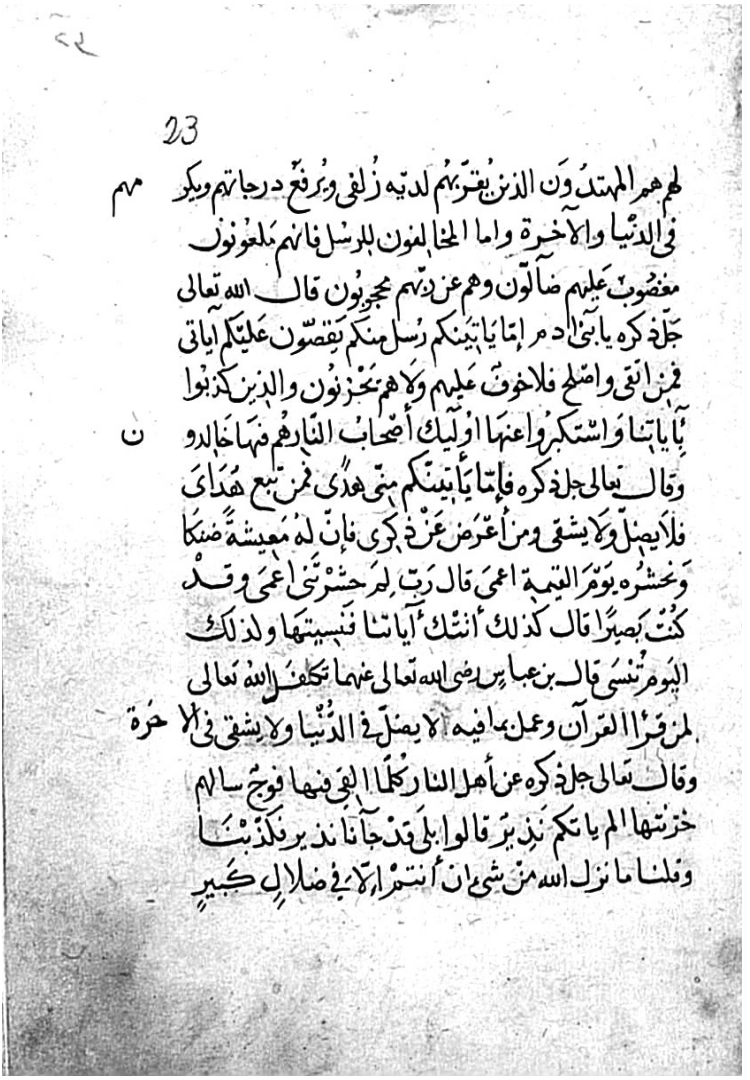

23

لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكر مهم
في الدنيا والآخرة واما المخالفون للرسل فانهم ملعونون
مغضوب عليهم ضالون وهم عن ربهم محجوبون قال الله تعالى
جل ذكره يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدو ن
وقال تعالى جل ذكره فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تكفل الله تعالى
لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه الا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
وقال تعالى جل ذكره عن أهل النار كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير

الصفحة الأخيرة من المخطوط (ت)

الصفحة الأولى من المخطوط (غ)

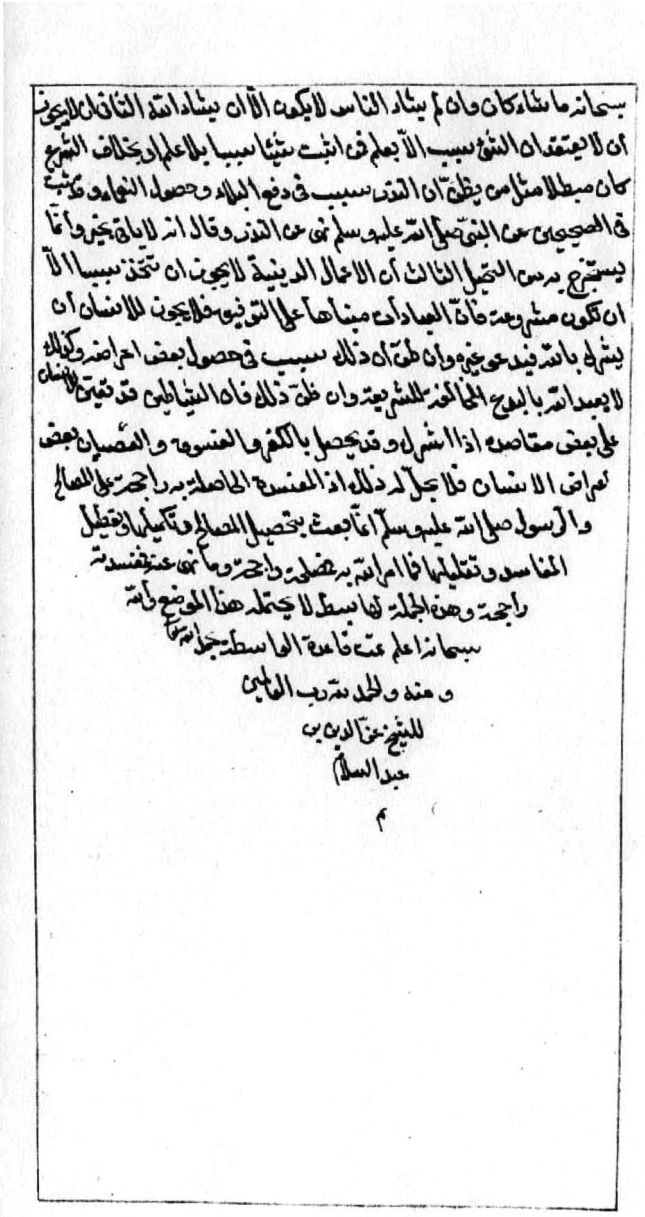

سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ الناس لا يكون إلا أن يشاء الله الثاني أن لا يجوز
أن لا يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم أو بخلاف الشرع
كان مبطلاً مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء وقد ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما
يستخرج به من البخيل الثالث أن الأعمال الدينية لا يجوز أن تتخذ سبباً إلا
أن تكون مشروعة فإن العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز للإنسان أن
يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه وكذلك
لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وإن ظن ذلك فإن الشياطين قد تعين الإنسان
على بعض مقاصده إذا أشرك وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض
أغراض الإنسان فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة به راجحة على المصلحة
والرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل
المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته
راجحة وهذه الجملة لها بسط لا يحتمله هذا الموضع والله
سبحانه أعلم تمت قاعدة الواسطة بحمد الله تعالى
ومنه والحمد لله رب العالمين
للشيخ عز الدين بن
عبد السلام

الصفحة الأخيرة من المخطوط (غ)

النص المحقق

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما تقول السادة الفقهاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين][1] في رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك.؟ [فهل هذا كلام على إطلاقه صحيح أو لا بُدَّ فيه من تفصيل وتقييد؟ أفتونا مأجورين.

أجاب رضي الله تعالىٰ عنه][2] : الحمد لله رب العالمين، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالىٰ من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده.

فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون [مغضوب عليهم ضالون وهم عن ربهم محجوبون][3]، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥ - ٣٦].

---

(١) زيادة من (ت)، وفي (م) بدلها: (مسألة).

(٢) زيادة من (ت)، وفي (م) بدلها: (الجواب).

(٣) في (م): (وهم عن ربهم ضالون محجوبون)، المثبت من (ت).

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: 123- 126].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقال الله تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾]الملك: 8 - 9].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾]الزمر: 71][1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: 48- 49].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

1) من هنا بدأ سقط في (ت) بمقدار لوح، وأُقحم مكانه كلام من موضع متأخر في الرسالة.

لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: 163- 165]. ومثل هذا في القرآن كثير.

(وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون)[1] الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: 75]. ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

والسور التي أنزلها الله بمكة مثل الأنعام والأعراف وذوات ﴿الٓر﴾[2] و﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ ونحو ذلك هي متضمنة لأصول الدين كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم الله ونصر رسله والذين آمنوا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: 171- 173].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: 51].

فهذه الوسائط تطاع وتتبع (ويقتدى)[3] بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 64].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

---

1) من هنا بدأت النسخة (غ) وفي أولها: (أعلم أنه قد أجمع أهل الملل على إثبات الوسائط....).
2) في (غ): ﴿الٓمٓ﴾.
3) في (غ): (يهتدى).

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإن أراد (بالواسطة)[١] أنه لا بد من واسطة [يتخذه العباد بينهم وبين الله][٢] في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك [ويرجعون][٣] إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كَفَّرَ الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون (بهم المنافع ويدفعون بهم المضار)[٤]، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها[٥] قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١][٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

---

(١) في (غ): (أحد بالوساطة).
(٢) زيادة من (غ).
(٣) في (م): (يرجون). والمثبت من (غ).
(٤) في (غ): (بها المنافع فيدفعون بها المضار).
(٥) في (م) زيادة: (حتى)، ولا معنى لها.
(٦) إلى هنا انتهى سقط بمقدار لوح من (ت).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣])[1].

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام [من الكفار][2] يدعون المسيح والعزير والملائكة [والأنبياء][3]، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلًا، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

---

(١) في (غ) تقدمت هذه الآية على التي قبلها.

(٢) زيادة من (غ).

(٣) زيادة من (غ).

وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ)[1] فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [فاطر: ٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

ومثل هذا كثير في القرآن.

ومن سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين، من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك.

وهؤلاء إذا [اجتمعوا][2] فإجماعهم حجة قاطعة، لا يجتمعون على ضلالة، وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل أحد (من الناس)[3] يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر**»[4].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ت).

(٢) في (م): (جمعوا)، والمثبت من (غ) و(ت).

(٣) ليست في (غ) و(ت).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في جامعه، أبواب العلم عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه، المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء، وصححه الألباني.

(وإن)[١] أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه، كالـحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، (فالله)[٢] إنما يهدي عباده ويرزقهم [وينصرهم][٣] بتوسطهم (بمعنى أن الخلق)[٤] يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب (للحوائج)[٥]، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله؛ شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادًا.

وفي القرآن من الرد على هؤلاء[٦] [ما لا][٧] تتسع له هذه الفتوى[٨]، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

[٩]أما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده؛ حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير،

(١) في (ت): (ومن).

(٢) كذا في (م)، وفي (غ) و(ت): (وإن الله).

(٣) زيادة من (غ) و(ت).

(٤) في (غ): (فالخلق) وفي (ت): (والخلق).

(٥) ليست في (غ) و(ت).

(٦) من هنا بدأ سقط بمقدار صفحة واحدة في (غ).

(٧) كذا في (ت)، وفي (م) بدلها (لم) فقط.

(٨) من هنا بدأ سقط كبير بمقدار خمسة ألواح في (ت).

(٩) أضاف زهير الشاويش هنا عبارة: (الوجه الأول)، وليست في جميع النسخ حتى التي اعتمد عليها هو في تحقيقه للرسالة، كما ذكره د. عبدالمجيد جمعة في طبعته التي حققها (ص: ٢١).

يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

والوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرانهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله تعالى ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير[١].

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه [ويعظه][٢] أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما [لما][٣] يحصل له من الرغبة أوالرهبة من كلام المدل عليه، والله تعالىٰ هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل (الأشياء)[٤] إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم

(١) إلى هنا انتهى السقط من (غ).
(٢) كذا في (غ) وهو الأنسب للسياق، وفي (م): (يعظمه).
(٣) زيادة من (غ).
(٤) في (غ): (الأسباب).

يكن، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على [يد][١] بعض: فجعل هذا يحسن إلى هذا أو يدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي (خلق)[٢] في قلب هذا المحسن الداعي الشافع (مِن)[٣] إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة.

ولا يجوز أن يكون [في][٤] الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه (الرب ويخافه)[٥].

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له**»[٦].

والشفعاء الذين يشفعون عنده: لا يشفعون إلا بإذنه، (كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥])[٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقد قال الله تعالىٰ: (﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾)[٨] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) زيادة من (غ).

(٢) ساقطة من (غ).

(٣) ليست في (غ).

(٤) ساقطة من (م)، والمثبت من (غ).

(٥) في (غ): (رب تعالىٰ أو يخافه).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، برقم (٦٣٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت، بنحوه، برقم (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (غ).

(٨) ما بين القوسين ساقط من (غ).

(فبين أن كل من دعي من دونه: ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له)[١].

وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك، وقد يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا لهم معاونًا (لهم)[٢] على ملكهم.

وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك (هم)[٣] وغيرهم، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم، وتارة لخوفه منهم، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم (ولإنعامهم)[٤] عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك (فإنه محتاج إلى الزوجة والى الولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته)[٥] (لتضرر)[٦] بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه، فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه، أو أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد [شفاعة][٧] أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله تعالىٰ لا يرجو أحدًا، ولا (يخافه)[٨] ولا يحتاج إلى أحد، بل هو الغني، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (غ).
(٢) ليست في (غ).
(٣) ليست في (غ).
(٤) في (غ): (على إنعامهم).
(٥) ما بين القوسين ساقط من (غ).
(٦) في (غ): (وإن تضرر).
(٧) ساقط من (م). والمثبت من (غ).
(٨) في (غ): (يخاف أحدًا).

إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

[وقوله تعالىٰ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦]، بين ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من اتبع من دون الله شركاء فليس معه علم، ليس معه إلا ظن وخرص، والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق، فإن الخرص تضمن معنى الكذب، لقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

ومن ظن أن «ما» هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ، كما قد بُسط [في][(١)] غير هذا الموضع][(٢)].

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة [عند المخلوقين][(٣)].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

[وقال تعالىٰ عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٢ - ٢٤]][(٤)].

---

(١) في (غ): (من)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة من (غ).

(٣) زيادة من (غ).

(٤) زيادة من (غ):

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦ – ٥٧].

فأخبر أن ما يُدعى من دونه لا يملك كشف (ضره)[1] ولا تحويله، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه، فهو سبحانه قد نفى ما [أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء إلّا][2] الشفاعة بإذنه، والشفاعة هي الدعاء، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك.

لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو أو يشفع إلا بإذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعة نُهي عنها، كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة.

قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٣ – ١١٤].

(١) في (غ): (الضر).

(٢) كذا في (غ)، وفي (م): (بين الملائكة والأنبياء إلّا من). والمثبت أنسب للسياق.

وقال تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [المنافقين: ٦].

وقد ثبت في الصحيح[١] أن الله تعالىٰ نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه (لا يغفر لهم)[٢] كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

(وقد)[٣] قال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] - فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحب المعتدين في الدعاء -، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل: أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك، أو يسأله ما فيه معصية لله كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الكفن الذي يكف أو لا يكف، ومن كفن يغير غميص، برقم (١٢٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، برقم (٢٧٧٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، ولفظ مسلم: (لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه؟ فقام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إنما خيرني الله فقال:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيده على سبعين**» قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة: ٨٤].

(٢) في (غ): (لن يغفر الله لهم).

(٣) ليست في (غ).

فالشفيع الذي أذن (الله)[١] له في الشفاعة: شفاعته (في)[٢] الدعاء الذي ليس فيه عدوان، ولو سأل (أحدهم)[٣] دعاء لا يصلح له لم يقر عليه، فإنهم معصومون أن يقروا على (ذلك)[٤]، [ولهذا لما][٥] قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦ - ٤٧].

وكل داع شافع دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشفع، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة، فهو الذي خلق السبب والمسبب، والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا كان كذلك فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يقدر له من الأسباب مِن دعاء الخلق وغيرهم ما شاء.

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى، [ومن ذلك طلب الدعاء والشفاعة][٦] من الأنبياء، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ليست في (غ).
(٢) في (غ): (من).
(٣) في (غ): (أحد من الأنبياء لأحد).
(٤) في (غ): (ذنب).
(٥) في (م): (كما) والمثبت من (غ)، وهو أنسب للسياق.
(٦) في (م): (فطلب الشفاعة والدعاء). والمثبت من (غ) وهو أنسب للسياق.

في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء[١]، [ولذلك][٢] بعده استسقى عمر بن الخطاب والمسلمون بالعباس عمه[٣]، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو سيد الشفعاء[٤]، وله شفاعات يختص [ببعضها، وبعضها وإن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم (١٠١٤)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم (٨٩٧): (عن أنس بن مالك: أن رجلًا، دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه، ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**»، قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله، ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس، قال شريك: سألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ فقال: ما أدري).

(٢) في (م): (بل وكذلك)، والمثبت من (غ) وهو أنسب للسياق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم (١٠١٠): (عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، برقم (٤٤٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي، فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول:**

=

شاركه فيه غيره فله منه ما لا يحصل لغيره][1]، ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي (مرة)[2] صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**»[3].

وقد قال لعمر بن الخطاب لما أراد أن يعتمر وودعه: «**يا أخي لا تنسني[4] من دعائك**»[5].

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طلب من أمته أن يدعوا له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع أنه

= **لست هناكم، ائتوا موسى، عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه، فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود**».

(١) زيادة من (غ)، وفي (م) بدلها: (بها).

(٢) في (غ): (واحدة)، وفي صحيح مسلم: «**صلاة**».

(٣) انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يسأل له الوسيلة، برقم (٣٨٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي(٣/ ٤٤٣)، برقم (٥٩٥٥).

(٤) في (غ): «**لا تنسانا يا أخي**»، ولفظ أبي داود: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**».

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء ، برقم (١٤٩٨)، والترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابٌ، برقم (٣٥٦٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، برقم (٢٨٩٤)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له [من الأجر][١] مثل أجورهم (في)[٢] كل ما يعملونه، فإنه قد صح عنه أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه (من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا)**[٣]»[٤].

وهو داعي الأمة إلى كل هدى فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلوا عليه فإن الله سبحانه يصلي على أحدهم عشرًا، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له، فذلك الدعاء [قد][٥] أعطاهم الله أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة، إلا وكَّلَ اللهُ به ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة، قال الملك الموكل به: آمين ولك (بمثل ذلك)**[٦]»[٧].

وفي حديث آخر: «**أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب**»[٨].

(١) زيادة من (غ).

(٢) في (غ): (من).

(٣) في (غ): (لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم (٢٦٧٤). عن أبي هريرة وقال: «**كان عليه من الإثم**...».

(٥) ساقطة من (م)، والمثبت من (غ).

(٦) في (غ): (بمثله). وفي مسلم: «**بمثل**».

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٢٧٣٢)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) أخرجه أبو داود في سننه، باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء بظهر الغيب، برقم (١٥٣٥)، والترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، برقم (١٩٨٠)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني.

فالدعاء للغير ينتفع به الداعي (والمدعو له)[١]، وإن كان الداعي دون المدعو له، (فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به)[٢] الداعي والمدعو له، فمن قال لغيره: أدع لي، وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما.

(والمسؤول فعل ما ينفعهما)[٣] بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر (أيضًا)[٤] يثاب (مثل ثوابه)[٥] لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم (إذ)[٦] ذاك مما أمر به الله الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقًا أن يسأل (مخلوقًا شيئًا)[٧] لم يأمر الله المخلوق [المسؤول][٨] به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب، ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة منه، وإذا

---

(١) ساقط من (غ).
(٢) في (غ): (وينتفع بالدعاء).
(٣) ساقط من (غ).
(٤) ساقطة من (غ).
(٥) ساقطة من (غ).
(٦) في (غ): (إن).
(٧) ساقطة من (غ).
(٨) زيادة من (غ).

فعل ذلك كان [ذلك][١] من أعظم إحسان الله إليه وإنعامه عليه، بل (أجلَّ)[٢] نعمةٍ أنعم الله بها على عبده أن هداه للإيمان.

والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة والحسنات، (وكلما ازداد)[٣] العبد عملًا للخير ازداد إيمانه، هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة: ٧].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم[٤]﴾ [النساء: ٦٩].

بل نعم الدنيا بدون الدين هل [تسمى][٥] نعمة أم لا ؟

فيه قولان مشهوران للعلماء من (أصحابنا وغيرهم)[٦].

والتحقيق أنها نعمة من وجه، وإن لم تكن نعمة تامة من (وجه)[٧]، وأما الإنعام بالدين [فهو فعل][٨] ما أمر الله به من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير، والقدرية عندهم إنما أنعم بالقدرة (عليه)[٩] الصالحة للضدين فقط، والمقصود هنا أن الله تعالىٰ لم يأمر مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا إلا ما كان مصلحة لذلك

---

(١) زيادة من (غ).
(٢) في (غ): (كل).
(٣) في (غ): (فكلما ازاده).
(٤) في (غ) زيادة: (﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾).
(٥) كذا في (غ)، وفي (م): (من).
(٦) ساقطه من (غ).
(٧) في (غ): (وجهين).
(٨) في (م): (ينبغي طلبه) والمثبت من (غ) وهو أنسب للسياق.
(٩) ساقطة من (غ).

المخلوق [المسؤول][١]، (إما واجبٌ أو مستحبٌ)[٢]، (فإنه)[٣] سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك، (فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ؟

بل قد حرم على العبد)[٤] أن يسأل العبد (ماله)[٥] إلا عند الضرورة[٦]، وإن كان قصده مصلحة المأمور أو مصلحته ومصلحة المأمور، فهذا مثاب على ذلك، وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه أُتي.

ومثل هذا السؤال لا يأمرُ اللهُ به قط، بل قد نهى عنه إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته، والله تعالىٰ يأمرنا أن نعبده ونرغب إليه و[٧] يأمرنا أن نحسن لعباده.

وهذا[٨] لم يقصد لا هذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة (إلى)[٩] الله ودعائه وهو الصلاة، ولا قصد الإحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرق (ما)[١٠] بين ما يؤمر العبد به و[بين][١١] ما يُؤذن (له)[١٢] فيه، ألا

---

(١) زيادة من (غ).
(٢) في (غ) : (إما واجبًا إو مستحبًا).
(٣) ساقطة من (غ).
(٤) ما بين القوسين ساقط من (غ).
(٥) في (غ) : (مسألة).
(٦) في (غ) زيادة: (وإن كان عطاء المال مستحباً ثم من طلب من غيره إما واجبًا وإما مستحبًا).
(٧) في (م): زيادة: (ما) وهو خطأ يحيل المعنى.
(٨) في (غ) زيادة: (إذا).
(٩) في (غ): (إلّا).
(١٠) ليست في (غ).
(١١) زيادة من (غ).
(١٢) ليست في (غ).

ترى أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم: «**لا يسترقون**»(١).

وإن كان الاسترقاء جائزًا، وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

[وبينا أن الأصل في سؤال الخلق أن يكون محرمًا، إنما يباح للحاجة، فإن السؤال للمخلوق فيه ذل للناس، وهو ظلم من العبد لنفسه، وفيه إيذاء المسؤول، وهو جنس ظلم العباد، وفيه خضوع العبد لغير الله، وهو من جنس الشرك، ففيه أجناس الظلم الثلاثة: الظلم المتعلق بحق الله، وظلم العباد، وظلم العبد لنفسه](٢).

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك(٣)، بل هذا(٤) دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها (وسائل)(٥) يتقربون بها إلى الله تعالىٰ وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالىٰ على النصارى، حيث قال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]. و(قد)(٦) قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، برقم (٥٧٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم (٢٢٠).

(٢) زيادة من (غ).

(٣) هنا انتهى السقط من (ت).

(٤) في (ت) زيادة: (كان).

(٥) في (غ): (وسائط).

(٦) ساقط من (غ).

أي: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي [أني][١] أجيب (دعاءهم لي بالمسألة)[٢] والتضرع.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وقد بين[٣] الله هذا[٤] التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك به حتى لا يُخاف أحدٌ غير الله، ولا يرجو سواه ولا يتوكل إلا عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

[وقال تعالى][٥]: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ[٦] فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) في (م): (أن). والمثبت من (ت) و(غ).

(٢) في (ت): (دعواهم بالمسألة).

(٣) ما بين القوسين جاء في (ت) متقدمًا في أول الرسالة، وهذا من الاضطرابات التي في النسخة.

(٤) في (م) زيادة: (الوجه). وفي (ت): (أنزل الله هذا التوحيد).

(٥) ساقطه من (م). والمثبت من (ت)، و(غ).

(٦) في (م) هنا زيادة: (أي: يخوفكم أولياءه).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

[فبيَّن][١] أن الطاعة لله (ورسوله)[٢]، وأما الخشية [والتقوى][٣] فلله وحده.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فبين أن الإيتاء لله (والرسول)[٤] كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو الذي (يعين ما)[٥] (أمر)[٦] الله به وما (نهى)[٧] وما أباحه لنا. وأما التحسب فهو لله وحده كما [قالوا][٨]: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ (ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله)[٩] ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب (بكمال المحبة)[١٠]

---

(١) في (ت): (فتبين)، وفي (م) غير واضحة، والمثبت من (غ).

(٢) في (غ) و(ت): (ولرسوله).

(٣) زيادة من (غ)، وفي (ت): (وما الخشية فلله والتقوى لله وحده).

(٤) في (ت): (وللرسول).

(٥) في (ت): (يعرفنا الله وما)، وفي (غ): (يبيّن ما).

(٦) في (غ): (أمرنا).

(٧) في (غ) و(ت): (نهانا).

(٨) في (م): (قال). والمثبت من (غ) و(ت) وهو أنسب للسياق.

(٩) ساقط من (غ).

(١٠) في (غ): (بالمحبة).

والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم**[١] **شاء محمد**»[٢].

(وقال له رجل)[٣]: ما شاء الله وشئت فقال: «**أجعلتني لله ندًا (قل)**[٤]: **ما شاء الله وحده**»[٥].

وقال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله**[٦] **أو ليصمت**»[٧].

وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٨].

---

(١) في (م) و(غ) هنا زيادة: (ما). وليست في (ت).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الأدب، باب لا يقال: خَبُثَتْ نفسي، برقم (٤٩٨٠)، بلفظ: «**فلان**» بدل «**محمد**» في الموضعين، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، برقم (٢١١٨) بنحوه، عن حذيفة، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت الحديث رقم (١٣٧).

(٣) في (غ): (وقال لرجل قال له)، وفي (ت): (وقال رجل).

(٤) (في (غ) و(ت): (بل).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قول الرجل ما شاء الله وشئت، برقم (٧٨٣) بهذا اللفظ، وابن ماجه في سننه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت ، برقم (٢١١٧) عن عبدالله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظ ابن ماجه: «**إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله، ثم شئت**»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٣٩)، وصحيح الأدب المفرد، برقم (٦٠٥).

(٦) هنا انتهت نسخة (ت).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف، برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ، برقم (١٦٤٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، برقم (٣٢٥١) والترمذي في جامعه، أبواب النذور والأيمان عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٤٢).

وقال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق، فلو جهدت الخليقة (على)[١] أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء[٢] كتبه الله لك، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك**»[٣].

وقال أيضًا: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**»[٤].

وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[٥][٦].

وقال: «**لا تتخذوا قبري عبدًا، وصلوا علي (فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم)**[٧][٨]».

---

(١) ساقطة من (غ).

(٢) في (غ) زيادة: (قد)

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، برقم (٢٥١٦)، بنحوه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم (٥٣٠٢)، وصحيح الجامع الصغير، برقم (٣٠٥١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، برقم (٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفيه: «**عبده ورسوله**».

(٥) في (غ) زيادة: «**من بعدي**».

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، (١/ ١٧٢) رقم (٨٥)، عن عطاء بن يسار مرسلًا.

وأسنده أحمد في مسنده برقم (٧٣٥٨) من طريق آخر عن أبي هريرة دون قوله: «**يعبد**» وفيه زيادة، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم (٧٥٠)، وغاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، (١٢٦)، وأحكام الجنائز (١/ ٢١٧).

(٧) في (غ): (حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني).

(٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم (٢٠٤٢) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وحسنه في مشكاة المصابيح برقم (٩٢٦).

وقال في مرضه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صنعوا[١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا)[٢].

وهذا باب واسع، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه، فإنه (لا)[٣] ينكر ما خلقه الله من الأسباب، كما جعل المطر سببًا (لنبات النبات)[٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وكما جعل الشمس والقمر سببًا لما يخلقه بهما، وكما جعل الشفاعة والدعاء سببًا لما يقضيه بذلك، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت، فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ويثيب عليها المصلين عليه.

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أخر، [و][٥] مع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو

(١) هذا لفظ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة وابن عباس، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، برقم (٤٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم (٥٣١).

(٢) وهذا لفظ عروة عن عائشة أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، برقم (١٣٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور راتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم (٥٢٩)، بلفظ: «**غير أنه خشي...**» وليس عند عروة: «**يحذر ما صنعوا**».

(٣) ساقطة من (غ).

(٤) في (غ): (للنبات).

(٥) ساقطة من (م).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، (وما شاء الناس)[١] لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثاني: أن لا يجوز أن[٢] يُعْتَقَدَ أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم أو [بخلاف][٣] الشرع كان مبطلًا، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنه)[٤] نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[٥].

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن (يتخذ منها شيء سببًا)[٦] إلا [أن][٧] تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن [أن][٨] ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، (ولذلك)[٩] لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة [إن][١٠] ظن ذلك، فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض

(١) ساقطة من (غ).

(٢) في (غ) زيادة: (لا).

(٣) في (م): (يخالف).

(٤) ساقطة من (غ).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، برقم (٦٦٠٨)، ومسلم في صحيحه، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، برقم (١٦٣٩) عن ابن عمر، واللفظ لمسلم.

(٦) في (م): (يتخذ منها شيئًا) وبعدها فراغ بقدر كلمة، وفي (غ): (تتخذ سببًا)، والمثبت من النسخ المطبوعة وهو الذي يقتضيه السياق، وفي مختصر الفتاوى المصرية (١/ ٢٦٩): (يتخذُ شيء منها سببًا للدنيا).

(٧) ساقطة من (م).

(٨) ساقطة من (م).

(٩) في (غ): (وكذلك).

(١٠) في (م): (إذا)، والمثبت من (غ) وهو أنسب للسياق.

مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان، فلا يحل له ذلك، إذ المفسدة الحاصلة (بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة، وهذه الجمل لها بسط (لا تحتمله هذه الورقة.. والله أعلم، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل)[2].

(١) في (غ) بدلها: (به راجحة على المصالح والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما).

(٢) في (غ): (لا يحتمله هذا الموضع، والله سبحانه أعلم، تمت قاعدة الواسطة بحمد الله تعالىٰ ومنّه والحمد لله رب العالمين، للشيخ عز الدين بن عبدالسلام، تم). وجاء في آخر نسخة (م): (تمت. المجاهد فيها أحمد سنة ١٣٨١).

النص مُقسم

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية ٢٣

اسم الشيخ:

مكان الدرس:

اسم الطالب:

رقم الهاتف:

المجلس	اليوم والتاريخ	بداية الدرس	نهاية الدرس
الأول			
الثاني			
الثالث			
الرابع			
الخامس			
السادس			
السابع			
الثامن			
التاسع			
العاشر			
الحادي عشر			
الثاني عشر			
الثالث عشر			
الرابع عشر			
الخامس عشر			
السادس عشر			

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما تقول السادة الفقهاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين] في رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك.؟ [فهل هذا كلام على إطلاقه صحيح أو لا بُدَّ فيه من تفصيل وتقييد؟ أفتونا مأجورين.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أجاب رضي الله تعالىٰ عنه]: الحمد لله رب العالمين، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالىٰ من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده.

فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون [مغضوب عليهم ضالون وهم عن ربهم محجوبون]، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥- ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ
تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقال الله تعالىٰ عن أهل النار: ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ [الملك: ٨-٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨-٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٥]. ومثل هذا في القرآن كثير.

(وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون)الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥]. ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

والسور التي أنزلها الله بمكة مثل الأنعام والأعراف وذوات ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ ونحو ذلك هي متضمنة لأصول الدين كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم الله ونصر رسله والذين آمنوا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

فهذه الوسائط تطاع وتتبع (ويقتدى) بها كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإن أراد (بالواسطة) أنه لا بد من واسطة [يتخذه العباد بينهم وبين الله] في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك [ويرجعون] إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كَفَّرَ الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون (بهم المنافع ويدفعون بهم المضار)، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]).

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام [من الكفار] يدعون المسيح والعزير والملائكة [والأنبياء]، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلًا، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [فاطر: ٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

ومثل هذا كثير في القرآن.

ومن سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين، من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك.

وهؤلاء إذا [اجتمعوا] فإجماعهم حجة قاطعة، لا يجتمعون على ضلالة، وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل أحد (من الناس) يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر**».

(وإن) أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه، كالـحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، (فالله) إنما يهدي عباده ويرزقهم [وينصرهم] بتوسطهم (بمعنى أن الخلق) يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب (للحوائج)،

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادًا.

وفي القرآن من الرد على هؤلاء [ما لا] تتسع له هذه الفتوى، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

أما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده؛ حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

والوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرانهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله تعالى ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه [ويعظه] أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما [لما] يحصل له من الرغبة أوالرهبة من كلام المدل عليه، والله تعالىٰ هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل (الأشياء) إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،

وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على [يد] بعض: فجعل هذا يحسن إلى هذا أو يدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي (خلق) في قلب هذا المحسن الداعي الشافع (مِن) إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة.

ولا يجوز أن يكون [في] الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه (الرب ويخافه).

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له**».

والشفعاء الذين يشفعون عنده: لا يشفعون إلا بإذنه، (كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢- ٢٣].

(فبين أن كل من دعي من دونه: ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له).

وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك، وقد يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا لهم معاونًا (لهم)على ملكهم.

وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك (هم) وغيرهم، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم، وتارة لخوفه منهم، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم (ولإنعامهم) عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك (فإنه محتاج إلى الزوجة والى الولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته) (لتضرر) بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه،

فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه، أو أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد [شفاعة] أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله تعالىٰ لا يرجو أحدًا، ولا (يخافه) ولا يحتاج إلى أحد، بل هو الغني، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس: ٦٦].

إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

[وقوله تعالىٰ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦]، بين ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من اتبع من دون الله شركاء فليس معه علم، ليس معه إلا ظن وخرص، والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق، فإن الخرص تضمن معنى الكذب، لقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

ومن ظن أن «ما» هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ، كما قد بُسط [في] غير هذا الموضع].

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة [عند المخلوقين].

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

[وقال تعالىٰ عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٢-٢٤]].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦- ٥٧].

فأخبر أن ما يُدعى من دونه لا يملك كشف (ضره) ولا تحويله، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه، فهو سبحانه قد نفى ما [أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء إلّا] الشفاعة بإذنه، والشفاعة هي الدعاء، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك.

لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو أو يشفع إلا بإذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعة نُهي عنها، كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٣- ١١٤].

وقال تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [المنافقين: ٦].

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالىٰ نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه (لا يغفر لهم) كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

(وقد) قال: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] – فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحب المعتدين في الدعاء –، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل: أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك، أو يسأله ما فيه معصية لله كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان.

فالشفيع الذي أذن (الله) له في الشفاعة: شفاعته (في) الدعاء الذي ليس فيه عدوان، ولو سأل (أحدهم) دعاء لا يصلح له لم يقر عليه، فإنهم معصومون أن يقروا على (ذلك)، [ولهذا لما] قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦- ٤٧].

وكل داع شافع دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشفع، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة، فهو الذي خلق السبب والمسبب، والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا كان كذلك فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يقدر له من الأسباب مِن دعاء الخلق وغيرهم ما شاء.

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى، [ومن ذلك طلب الدعاء والشفاعة] من الأنبياء، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء، [ولذلك] بعده استسقى عمر بن الخطاب والمسلمون بالعباس عمه، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

وهو سيد الشفعاء، وله شفاعات يختص [ببعضها، وبعضها وإن شاركه فيه غيره فله منه ما لا يحصل لغيره]، ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي(مرة) صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**».

وقد قال لعمر بن الخطاب لما أراد أن يعتمر وودعه: «**يا أخي لا تنسني من دعائك**».

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طلب من أمته أن يدعوا له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له [من الأجر] مثل أجورهم (في) كل ما يعملونه، فإنه قد صح عنه أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه (من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا)**».

وهو داعي الأمة إلى كل هدى فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلوا عليه فإن الله سبحانه يصلي على أحدهم عشرًا، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له، فذلك الدعاء [قد] أعطاهم الله أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة، إلا وكَّلَ اللهُ به ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة، قال الملك الموكل به: آمين ولك (بمثل ذلك)**».

وفي حديث آخر: «**أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب**».

فالدعاء للغير ينتفع به الداعي (والمدعو له)، وإن كان الداعي دون المدعو له، (فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به) الداعي والمدعو له، فمن قال لغيره: أدع لي، وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما.

(والمسؤول فعل ما ينفعها) بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر (أيضًا) يثاب (مثل ثوابه) لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم (إذ) ذاك مما أمر به الله الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقًا أن يسأل (مخلوقًا شيئًا) لم يأمر الله المخلوق [المسؤول] به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب، ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة منه، وإذا فعل ذلك كان [ذلك] من أعظم إحسان الله إليه وإنعامه عليه، بل (أجلَّ) نعمةٍ أنعم الله بها على عبده أن هداه للإيمان.

والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة والحسنات، (وكلما ازداد) العبد عملًا للخير ازداد إيمانه، هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة: ٧].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم﴾ [النساء: ٦٩].

بل نعم الدنيا بدون الدين هل [تسمى] نعمة أم لا ؟

فيه قولان مشهوران للعلماء من (أصحابنا وغيرهم) .

والتحقيق أنها نعمة من وجه، وإن لم تكن نعمة تامة من (وجه)، وأما الإنعام بالدين [فهو فعل] ما أمر الله به من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير، والقدرية عندهم إنما أنعم بالقدرة (عليه) الصالحة للضدين فقط، والمقصود هنا أن الله تعالىٰ لم يأمر مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق [المسؤول]، (إما واجبٌ أو مستحبٌ)، (فإنه) سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك، (فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك؟

بل قد حرم على العبد) أن يسأل العبد (ماله) إلا عند الضرورة، وإن كان قصده مصلحة المأمور أو مصلحته ومصلحة المأمور، فهذا مثاب على ذلك، وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه أُتي.

ومثل هذا السؤال لا يأمرُ اللهُ به قط، بل قد نهى عنه إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته، والله تعالىٰ يأمرنا أن نعبده ونرغب إليه ويأمرنا أن نحسن لعباده.

وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة (إلى) الله ودعائه وهو الصلاة، ولا قصد الإحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرق (ما) بين ما يؤمر العبد به و[بين] ما يُؤذن (له) فيه، ألا ترى أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم: «**لا يسترقون**».

وإن كان الاسترقاء جائزًا، وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

[وبينا أن الأصل في سؤال الخلق أن يكون محرمًا، إنما يباح للحاجة، فإن السؤال للمخلوق فيه ذل للناس، وهو ظلم من العبد لنفسه، وفيه إيذاء المسؤول، وهو جنس ظلم العباد، وفيه خضوع العبد لغير الله، وهو من جنس الشرك، ففيه أجناس الظلم الثلاثة: الظلم المتعلق بحق الله، وظلم العباد، وظلم العبد لنفسه].

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك)، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها (وسائل) يتقربون بها إلى الله تعالىٰ وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالىٰ على النصارى، حيث قال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]. و(قد) قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أي: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي [أني] أجيب (دعاءهم لي بالمسألة) والتضرع.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧- ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وقد بين (الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك به حتى لا يُخاف أحدٌ غير الله، ولا يرجو سواه ولا يتوكل إلا عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

[وقال تعالى]: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

[فبيَّن] أن الطاعة لله (ورسوله)، وأما الخشية [والتقوى] فلله وحده.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فبين أن الإيتاء لله (والرسول) كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [التوبة: ٥٩]، فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي (يعين ما) (أمر) الله به وما (نهى) وما أباحه لنا.

وأما التحسب فهو لله وحده كما [قالوا]: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ (ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله) ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب (بكمال المحبة) والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**».

(وقال له رجل): ما شاء الله وشئت فقال: «**أجعلتني لله ندًا (قل): ما شاء الله وحده**».

وقال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

وقال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق، فلو جهدت الخليقة (على) أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك**» .

وقال أيضًا: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**».

وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**».

وقال: «**لا تتخذوا قبري عبدًا، وصلوا علي (فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم)**».

وقال في مرضه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صنعوا.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا).

وهذا باب واسع، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه، فإنه (لا) ينكر ما خلقه الله من الأسباب، كما جعل المطر سببًا (لنبات النبات).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وكما جعل الشمس والقمر سببًا لما يخلقه بهما، وكما جعل الشفاعة والدعاء سببًا لما يقضيه بذلك، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت، فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ويثيب عليها المصلين عليه.

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أخر، [و] مع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، (وما شاء الناس) لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثاني: أن لا يجوز أن يُعْتَقَدَ أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم أو [بخلاف] الشرع كان مبطلًا، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنه) نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**» .

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن [يتخذ منها شيء سببًا] إلا [أن] تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن [أن] ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، (ولذلك) لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة [إن] ظن ذلك، فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان،

فلا يحل له ذلك، إذ المفسدة الحاصلة (بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة، وهذه الجمل لها بسط (لا تحتمله هذه الورقة.. والله أعلم، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل).

القصيدة التائية

في الافتقار إلى الله تعالى

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى (ت ٧٢٨هـ)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٧- ١٥٩): وبعث إليَّ [يعني: شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية] في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمِسْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي

أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهْيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي

لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ

وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي

إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَا فِي الْآيَاتِ

وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِي

وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي

وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي

فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

ضبطها العبد الفقير إلى ربه الغني:

أبو العباس جسني بن أحمد بن حسانين الجهني

وزخرفها بقلمه أولاها: الخطاط عثمان بن طه

١٤٣٢هـ

@IBNABITALIB info@ibnabitalib.com
0096599494122 www.ibnabitalib.com